



حين تتوهج الذاكرة

عن قصة الشهيد^(*)

فايز حمد كنعان بوعركي

بقلم

د. فاطمة يوسف العلي

(*) تمت الاستعانة بحوثيات الشهيد من كتاب الدكتور ببيان التركي.

حين تتوهج الذاكرة

- ١ -





953.8 العلي، فاطمة يوسف.
حين تتوهج الذاكرة: قصة الشهيد فايز كنعان بوعركي / بقلم فاطمة يوسف العلي
ط5 - الكويت: مكتب الشهيد، 2013
21ص : 21سم. - (بصمات في تاريخ الكويت)

1 - الكويت - تاريخ - الاحتلال العراقي (1990/8/2 - 1991/2/26).
2 - الشهيد فايز كنعان حمد بوعركي. أ - العنوان.
ب- السلسلة

Depository Number: 2005/00354

ISBN: 99906 - 84 - 05 - 7

حين تتوهج الذاكرة

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

حين تتوهج الذاكرة

- ٣ -





حين تتوهج الذاكرة

يموج صدره بالفرح عندما يتمكن من استفزازها.. فهي في ريعان العمر وتحمل حكمة جدتها سبيكة المعروفة في (الفريج)^(١) القديم بلقب أخت الرجال، حيث كانت بنتا وحيدة جاءت بعد سبعة ذكور، فأصرت على أن تكون بالحكمة والرزانة والتعقل (الأخ الثامن) ولكن هذا الأخ الثامن الذي يقاوم الطبيعة في الفهم والميول، لم يستطع أن يقاومها في الشعر الناعم الفاحم الطويل، والقوام الأنثوي الجميل، والصوت المدغدغ الساحر، الحفيدة أخذت الجانبين:

الحكمة والجمال.. ورغم سعادته بجمالها الموعود له، فإنه يشعر بالهزيمة أمام عقلها.

- قالت وهي تشد حزام الحقيقة وتثبت عليها «تكت»^(٢) الخطوط الجوية الكويتية.

- هذا موضوع انتهينا منه.. وقلت لك من قبل الحب غير الشفقة.
- وأنا قلت لك إنه الحب.. هكذا بدأ.. هكذا يستمر.
- وقل لك.. لنتنظر، ونعطي أنفسنا فترة اختبار.

خلاص:

- وكذلك قلت لك انتهى عصر الاختبارات والامتحانات، أنت معلمة، وأنا ضابط، وبلغنا.. أقصد.. أنا بلغت سن الرشد..
- وعليك يا صغيرتي أن تكوني واثقة بي.. مد يده ليحمل عنها الحقيقية، ولكنها أزاحت يده برفق، ونظرت إليه نظرة حاولت أن لا يظهر فيها ضعف الحب، وجرت الحقيقية حتى استقرت على عجالاتها.

(١) الفريج: الحي.

(٢) تكت: بطاقة.





ثم قالت:

- إنني أثق بك، على هذا الأساس قبلت الخطبة .. تنهد، تنهدت بحرارة: وما الضرر لو كان عقد القران قبل سفرك.

- نظرت إليه بعتاب، قالت بهمس: فايز... هل تعود إلى هذا الموضوع؟

- دع القدر يقول كلمته!!

خفضَ بصره إلى الأرض، قال بألم: سواء تركنا القدر يقول كلمته أو لم نستمع إليه .. فهو صاحب القول الفصل.

قالت بثقة: آمنت بالله..

قال: تمنيت لو كانت ظروفني سمحت بأن أسافر معك.. هكذا تسافرين وحيدة؟

- وهو صاحب في السفر.

- سبحانه وتعالى..

تلامست يدهما على يد الحقيبة، تركتها له، دفعنها أمامه قليلاً ثم حملها، وبعد دقائق كانا في سيارتها، وكانت هي التي تقود، وكان المطار وجهتها.. وقال لها في الطريق: سيكون لي اتصال كل ليلة، وكل صباح.. الساعة العاشرة بتوقيت الكويت .. ليناسب مواعيدك هناك. أرادت أن تبث الطمأنينة في نفسه، فأكدت:

- أنا بخير، وسأصل أنا بك بمجرد الانتهاء من التحاليل واستلام صور الأشعة والتقارير .. وحينئذ.. قاطعها:





سأطير أنا إليك.. أقسم أن أفعل، وهديّة فرحتي بك من
(هارودن).

قالت ضاحكة: بل تفاعحة مغروسة في السكر ثمنها عشر بنسات
تباع على مدخل لندن بـدرج. وضغط على يدها.

كانت أختها الوحيدة الأصغر منها، قد سبقتها إلى المطار مع
بعض زميلاتنا المدرسات، وكان الوداع باسمًا، يحاول أن يتغلب على
توقعات الخوف ومشاعر القلق ذهبت الأختان، وعادت الزميلات،
وركب هو سيارتها عائداً بها إلى منزلها، وهناك عاد إلى سيارته..
وكان هاتفه يرسل إشارته بالحاح.. كان في حالة لا تجعله يرحب
بأحاديث التلفزيونات.. لم يعبأ به.. حتى توقف تلقائياً.. وشرد خياله
معها في رحلتها القلقة.. سلوى ابنة العم، نشأ مثل قيس وليلى،
يلعبان ويتخيّلان، ثم فرقت بينهما المدارس، وظهور براعم الأنوثة
هنا، وعلامات الذكورة هناك، ولكن الحلم ظل يسكن القلب، ويلهو
على هواه، ويلوب.. يلوب.. ليعود إلى نقطته الأولى، وحب الطفولة
الجميل.. ولكن ماذا بقي من الطفولة؟ كل شيء تغير.. كل شيء
تغير إلا هو.. إلا هوى القلب بابنة العم؟؟

لم يعرف كيف وصل إلى ديوانية صديقه وليد الهملان.

سيارته تعرف طريقها.. فقط عليه أن يضع قدمه فوق دواسة
البنزين، وتقوم هي بالباقي.. فوجئ بوليد واقفاً أمام الديوانية،
قفز من فوق الدرجة الأخيرة واحتضن مقدمة السيارة، وهو يقول
بمرح مقصود:





فايز كنعان بوعركي عندنا؟ يا مرحبا يا مرحبا..
«ما أدراه أنني كنت أفكر في قيس وليلى؟ هل للقلوب لغة خاصة
بها؟ فماذا تفعل سلوى الآن؟ بعد ساعات تكون في (لندن كلينك)،
ساعات أخرى أو أيام ونسمع كلمة أخيرة في موضوع الصداق
وخفقان القلب. لو أن الفداء يقبل يا سلوى لوهبتك عمري لأنك
أغلى من العمر».

فتح الباب.. جذب المفاتيح من (التابلوه)، أمسك بيده:

- انزل، لا تقل إنك مشغول، أعرف من أين جئت..

- ولا تعرف بماذا أشعر؟

- وأعرف، ولهذا يجب أن تنزل، ولن تغادر الديوانية حتى تكون

في أحسن حال.

- ذاك زمان..

- في كل وقت.. هذي مسألة إرادة..

- إرادة..

التقت تتهيدتان، كل من الصديق يفكر في اتجاه، كان وليد
الهملان تلقى مكالمات من أصدقاء تحمل إليه شائعات عبور قوات
عسكرية الحدود الشمالية.. ولكن وسائل الإعلام التي لم تذكر شيئاً
عن الموضوع جعلته يتحفظ في إخبار فايز بمجرد وصوله، خصوصاً
أنه عائد من وداع خطيبته التي سافرت للعلاج بعد أن أخذ فايز
مكانه المعهود على القنفة^(١)، ولم يكن في الديوانية غير صديقه،
الذي أخذ يتشاغل بصب الشاي، قال فايز:

(١) الأريكة:





- رأسها صخر.. يابس، لو سمعت كلامي ووافقت على إتمام الزواج قبل السفر، لكنت حققت لي، ولها أملاً يرفع معنوياتنا في هذه الظروف الخطرة.

والتقط وليد الكلمة وقال قبل أن يفكر في معناها: خطرة!! هل وصلك شيء عن الحشود.. والحدود؟! إذن الكلام صحيح.

- الكلام؟ أي كلام؟

عرف وليد غلطته بعد فوات الألوان.. ولا مفر من البحث عن الحقيقة، وفايز ضابط وإذا لم يعرف الآن، فسيعرف بعد دقيقة.. أو بعد ساعة.. تحركت شفتاه بغير كلام.. ثم تصاعد رنين الهاتف في الديوانية، وكان الصوت على الطرف الآخر مسموعاً بوضوح:

- ديوانية الهملان؟ وليد الهملان..

- نعم

- الملازم أول فايز ترك رقمكم في القيادة.. هل هو موجود؟

- موجود

وانقض فايز على السماعه..

- أنا.. أية أوامر؟

واتسعت عينا وليد، أما فايز الذي كان يتخيل سلوى في الطائرة يتصور أنها تكاد تهبط (هثرو) الآن، فقد توهجت الذاكرة بالمتوقع.. ها هو خط المطلاع يشتعل ناراً.. ها هو فايز يتقدم بمدرعته فيلقي الحمم على المعتدين.. ها هي سلوى تقضى ليلة في المستشفى وهم هناك يشفقون عليها فلا يخبرها أحد بما تعرض له وطنها من





لم تمض سوى أيام حتى كانت دلائل وجود مجموعات مختلفة من المقاومين تؤكد قدرتها على العمل. المجموعة التي انضم إليها فايز كنعان بوعركي كانت من الضباط الذين يحملون بطاقات تقول إنهم لا شأن لهم بأعمال السلاح، انفراد فايز بأعمال الاستطلاع والتجسس على قوات العدو لمهارته في التمويه، والتخفي وقدرته على التعرف على أنواع الأسلحة ومقدرة كل نوع، وقد أبدى جهداً كبيراً في إحضار أسلحة من مخابئها لكي تستخدم في المداهمة لأماكن تجمع العدو، والتخلص منها فوراً حتى لا تكون إداة إذا ما وقعت في يد العدو.. ولكنه كان منزعجاً من تعدد خلايا المقاومة دون أن يكون بينها تفاهم وتنسيق، حتى لا يفسد بعضها مجهود بعض دون أن يقصد.. وهكذا أخذ على عاتقه مهمة الاتصال بمجموعة ٢٥ فبراير، وخلية الشهيد وفاء العامر وغيرها، وكذلك تفتق ذهنه عن اختيار أماكن لإخفاء الذخيرة والأسلحة لا تخطر بخیال أحد. وفي تلك الليلة كان يخطط مع خليته لاقتحام مخفر الفيحاء ومدرسة ابن رشد! كم يعذبه هذا.. كم له هناك من ذكريات؟ نعم سنهاجم المخفر.. والمدرسة.. المدرسة التي تلقى تعليمه المبكر فيها، والمخفر الذي كان يجلس فيه منذ شهر واحد، أو شهرين يحتسي القهوة العربية مع صديقه الذي يعمل محققاً فيه.. هل جاء زمن تمتد فيه يده بالأذى، فيلقي القنابل، ويطلق الرصاص على أماكن ذكرياته.. على مبان وساحات بناها الوطن بحراً ماله لينعم بها الناس ويشعرون معها بالأمان والثقة في المستقبل؟





وهل يستطيع أن يمر أمام المدرسة، أن يتسلل إلى المخفر.. ويركز انتباهه على الهدف دون أن تتحرف نظراته إلى بيت سلوى المقابل للمدرسة، وبيت أسرته خلف المخفر.. هل يستطيع؟

توهجت الذكريات لكنه أحمدها بقوة، أوقف سيل المشاعر، وهو يتحسس الرشاش تحت مقعده في السيارة، لعله يذكره بأنه اللغة الوحيدة المعتمدة الآن، ولعله يتذكر أنه لا شيء أعلى من الوطن، ما أهمية مدرسة أو مخفر.. ما أهمية وجودي أنا بالذات؟ المهم أن نكون .. أن يكون في المدارس أطفال، وفي الشوارع سيارات، وفي المصانع والمؤسسات.. بشر.. رجال .. ونساء.. يقولون كما تقول الإذاعة كل يوم.. هنا الكويت.. أما فايز كنعان بوعركي.. فإنه مجرد شخص.. واحد، حياته في أداء دوره، ولا بد أن يؤديه.

توهجت الذكريات.. لم يستطع أن يخدمها.. إنها هناك.. لا سبيل إلى الاتصال، يرمي بنفسه على الخطر.. وهي تعيش خطرها الخاص.. ترى ماذا قالوا لها؟

وهي حين تحصل على البراءة من المرض تستطيع أن تقول: إنني سعيدة الآن؟ أم أن هذه العبارة محرمة علينا حتى يرحل العدو عن الديار.

إنها تندثر حتى في غيابها، تضعه تحت عينيها وهي نائمة في سرير مرضها، لقد تسلل إلى مدخل بيتها، من زاوية كراج سيارتها، أخذ يراقب حركة الجنود الذين يحتلون المدرسة.. عدد الحراسات، ومواقعها، تسليحها، درجة الاستعداد، أوقات استبدال الجنود.. سجل هذا كله في ذاكرته المتوهجة.. وهو يستعيد اللحظات الفاصلة في عمليات سابقة.. حين اعترضوا رتلًا من الشاحنات على الدائري





الرابع، ودمروا حمولاتها المنهوبة من بيوت الكويت، وقتلوا الجنود للصوص الذي يحرسون المسروقات، وتذكر ليلة ذهب إلى بيت أخته في مشرف، وأراد سحب كمية من القنابل الخفيفة المخبأة عندها، فوجدها قد حزمته في كرانيش الحجر الأردني الذي يطوق أعلى الفيلا من الخارج، وكان وجود هذه القنابل في مرأى العين على الشارع، سبباً في عدم الانتباه إليها، ولكنه لم يستطع الحصول عليها إلا بعد نزول الظلام، إنه يتذكر بتوهج الذاكرة كيف أخذ يتأمل تلك القنابل، ويخاطبها كأنها فلذات كبده، ويناجيها كمعشوقته.. أن تذهب إلى أهدافها، أن تقوم بواجبها.. وقد أرسلها إلى مقر مخابرات العدو في قصر نايف، وإلى استعلامات فندق انترناشيونال، وإلى مدخل نادي كاظمة.. وستكون الضربة الكبيرة لمدرسة ابن رشد ومخفر الفيحاء.. الاحتفال الكبير بمناسبة مرور خمسين يوماً على الاحتلال.. نعم لا بد أن يذوقوا بعض ما أذاقوه لشعبه الطيب المسالم، ولا ثمن للدم غير الدم.

عاد إلى مجموعته في موقع تلاقهم ومكانه، بدأوا بتبادل الأخبار حيث لا يسمح لهم بالكلمات الهاتفة خوفاً من التجسس عليهم، وبدأ استعراض جدول الأعمال: أسماء الشباب الراغبين في الانضمام إلى المجموعة، والسماع لرأي كل عضو في الشخص، وتقويم نشاط المجموعة طوال الأسبوع الماضي، وآخر أخبار التنسيق بين مجموعات العمل الفدائي، وجهد العضوات في إمداد البيوت المحتاجة ببعض ما ينقصها من مال أو طعام، ومحاولات الاتصال بالذين حملتهم ظروفهم على البقاء في الخارج لتنظيم التعاون، وإعداد حملات دعاية لتوفير الرأي العام وفضح ممارسات العدو ووحشيته..





- كيف يكون شريكي وأنا لا أعرفه؟ إنه عابر سبيل طلب مني أن
أوصله إلى الدوار.. فأشفقت عليه.

- لا مانع.. يقول هذا في التحقيق.

إنه الآن يعرف لماذا وضع الورقة في الدرج ونسيها.. حين توهجت
الذاكرة بالوطن.. غابت التفاصيل، حين توهجت الذاكرة بالألم الكلي
للناس.. اختفت أوجاعه.. حين توهجت الذاكرة بضرورة عمل مزلزل
كبير، هانت في نظره كل العمليات التي قام بها.. حين رأى بعين
الخيال كيف سيحيل المدرسة والمخفر إلى مقبرة للمعتدين.. لمعت في
الأفق صورة سلوى عائدة إلى بيتها.. وتراءت له سيارتها التي أوصلها
بها إلى المطار وقد عادت تقف من جديد في موقعها المؤلف.. لقد
نسى في هذه اللحظة أن السيارة نفسها اختفت قبل أن يعود هو من
اختفاء الصليبخات.

تتوهج الذاكرة الآن بالمجاهدين القدامى في زمن بعيد.. قريب..
بلال في رمضاء مكة، عمار بن ياسر يجلد بالسياط.. إنه يتعزى
بهذا عن خلع أظافره.. عن تعليقه من ساقيه، عن حرمانه من الطعام
والشراب.. عن صب الماء على رأسه طول الليل حتى لا ينام.. لكنه
أبداً لا يبوح باسم زميل، ولن يتعرف على رفيقه في السيارة.. إنه
مجرد عابر سبيل.. ولن يفضي بسر (الكروكي)^(١) الذي يحمله.. إنه
مجرد (شخايبط)^(٢) للعبة الكلمات المتقاطعة.

(١) المخطط.

(٢) كتابات وخطوط عابثة لا معنى لها.





صمد.. صمد.. حتى فقد القدرة على الكلام.. فاطمأن إلى
أنه أبداً لم يبيع..
أمام بيته الخالي من أهله.. هتكت الرصاصات مؤخر الرأس..
أرسلت الذاكرة آخر توهجها.. وأغلقت الصندوق على أسرارها.







